التَّراكِيْبُ الخبريّة لِلتَّقْوَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ
-دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ-

Declarative Structures of Taqwa(Piety) in the Glorious Qur'an:
A Syntactic-Semantic Study

أ.د.واثق غالب هاشم
Dr. Wathiq Galib Hashim

العراق / الجامعة المستنصريّة / كلّيّة التّربية / قسم علوم القرآن.
Iraq / Al-Mustansiriya University / College of Qatiyah / Department of Qur'anic Sciences.

Br.wathiq76@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

اتّخذت الدّراسة من التّقوى والتّراكيب الخبريّة الّتي جرت فيها في التّعبير القرآنيّ ميدانًا في عمليّة التّحليل من الوجهتين النّحويّة والدّلاليّة للإلمام بها والكشف عنها، وقد تبيّن أنّ التّقوى وردت في ٦٦ ستّة وستّين موضعًا من القرآن الكريم اختصّ ورودها بالتّراكيب الخبريّة، وهو أمر ينبئ بأهمّيّتها في حياة المسلمين عامّة والمؤمنين خاصّة. وأنّ التّعبير القرآنيّ وظّف السّياق بالأسلوب الخبريّ بجعله سياقَ مدح للمتّصفين بالتّقوى والقائمين بها . وقد عمد إلى استعمال الأسلوب الخبريّ في الخطاب أراد منه الأمر بتنفيذ الحقوق والوصايا الّتي كُلِّف بها المتّقون؛ وذلك من أجل مراعاة الجانب النّفسيّ للمتّقين؛ فالأمر المباشر قد يولّد صعوبة ومشقّة في تنفيذه، وقد يؤدّي إلى الإعراض والتّلكّؤ. وأنّ التّعبير القرآنيّ استعمل التّقوى مع أسلوب القصر لتأكيد معنى التّقوى وإثباتها في نفس المخاطب؛ لِمَا في ذلك التّأكيد من تعظيم وتفخيم لفعل التّقوى في المواقف المختلفة. وقد استند التّعبير القرآنيّ إلى الأسلوب الخبريّ في مواضعَ معيّنةٍ ذكر فيها جزاء المتّقين وثوابهم في إشارة منه إلى أنّ ذلك الجزاء والثّواب متحقّق لا محالة لما في ذلك من التّرغيب والحثّ على فعل التّقوى. ولعلّ ورود التّقوى في الأسلوب الخبريّ مع النّمط التّوكيديّ بصورة القصر في مواضعَ معيّنة يفصح عن نفسيّة المخاطب المنكرة الزّاعمة بما هو مخالف للواقع؛ إذ وردت في سياق اتّسم بالشّدّة على تلك النّفس من أجل الرّدّ عليها، فجاء التّوكيد لإثبات المعنى والحكم الصّحيح في نفس المخاطب ليجعله أكثر إدراكًا وانتباهًا للخبر المساق إليه.

الكلمات المفتاحيّة: التّراكيب الخبريّة، التّقوى، دراسة نحويّة دلاليّة .

Abstract :

This study analyzes taqwa (piety) and the indicative structures in which it appeared within the Qur'anic expression, from both a grammatical and semantic perspective, to comprehensively understand and reveal its significance. The analysis revealed that taqwa is mentioned in sixty-six instances in the Glorious Quran, exclusively within indicative structures. This underscores its importance in the lives of Muslims in general and believers in particular.

The Qur'anic expression utilizes the indicative style as a context of praise for those who are characterized by taqwa and practice it. It also intentionally employs the indicative style to convey commands for performing the rights and fulfilling the commandments entrusted to the pious. This approach considers the psychological aspect of the pious, as a direct command might create difficulty and hardship in its execution, potentially leading to aversion and reluctance.

Furthermore, the Qur'anic expression uses taqwa with the style of restriction (qasr) to affirm and establish the meaning of taqwa in the mind of the addressee. This emphasis serves to magnify and glorify the act of taqwa in various situations. The Qur'anic expression also relies on the indicative style in specific instances where the reward and recompense of the pious are mentioned. This serves as a strong indication that this reward is an undeniable reality, thereby motivating and encouraging the act of taqwa.

The appearance of taqwa within the indicative style, particularly with the restrictive-emphatic pattern in certain contexts, also reveals the psychological state of an addressee who is in denial or claims something contrary to reality. In such situations, where the context is characterized by severity, the emphasis serves to refute these claims and establish the correct meaning and ruling in the mind of the addressee, making them more aware and attentive to the conveyed message.

Keywords: Declarative Structures, Taqwa, Syntactic-Semantic Study.

المقدّمة:

الحمد لله على ما أنعم، الّذي علّم بالقلم، والصّلاة والسّلام على نبيّه الأكرم محمّد وعلى آله الطّيبين الطّاهرين، أمّا بعد ...

فإنّ التّركيب غاية من أهمّ الغايات الّتي يسعى إليها باحث اللّغة؛ إذ يمثّل تجميع العناصر المكوّنة للجملة، وفق أنماط معيّنة، ومنه يُستَمَدُّ المعنى[1].

ويتكوّن المستوى التّركيبيّ أو النّحويّ لِلُّغة من طائفة من المعاني النّحويّة كالخبر والإنشاء اللّذين يتضمّنان النّفيَ والإثبات، والتّوكيد، والطّلب بأنواعه، ومن المعاني النّحويّة الخاصّة كالفاعليّة والمفعوليّة ، والحاليّة، وغير ذلك[2] .

ويتناول هذا المستوى دراسة التّراكيب وما فيها من مشكلات في الإعراب، ودراسة مواقع الألفاظ وعلاقاتها بغيرها في السّياق، وغير ذلك من أمور تتعلّق بتأليف الكلام ونظمه[3].

وقد وردت الآيات المشتملة على التّقوى في القرآن الكريم بأنماط وتراكيب متنوّعة وبأساليبَ متعدّدة، تختلف تبعًا للمقاصد والمعاني الّتي يراد إظهارها؛ فاستثمرها التّعبير القرآنيّ أيّما استثمار لتأدية دلالات مختلفة. وعلى أساس من ذلك اتّخذ البحث منهجًا لدراسة هذه التّراكيب الخبريّة يقوم على عرض أنماطها الواردة، وصور هذه الأنماط، مراعيًا في عرض الصّور شيوعها وكثرتها في ضمن كلّ نمط وتسلسلها في السّور والآيات القرآنيّة.

توطئة:

الجملة الخبريّة –كما يرى النّحويّون –هي الّتي تحتمل الصّدق أو الكذب، فاذا طابقت الواقع وأيّدتها الحقائق فصادقة، وإلّا فكاذبة[٤]، ذلك أنّها ((نقل حقيقة أو معلومة يقف عليها المتكلّم، فيعبّر عنها لينقلَها لمن يلقي إليه الكلام، وهذا المتلقّي يستطيع أنْ يتحقّق منها صدقًا أو كذبًا؛ لأنّ لها وجودًا في خارج كلام المتكلّم))[٥] .

وقد يكون احتمال الخبر للصّدق والكذب بالنّظر إلى مفهوم الكلام الخبريّ نفسه من دون النّظر إلى المخبر أو الواقع؛ ففي بعض الأحيان يوصف الخبر بالصّدق فحسب، أو الكذب فحسب –لا لنفسه –ولكن لأسباب أخرى تخرج عن نطاق العبارة؛ فمثلًا أخبار القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف لا تحتمل إلّا الصّدق، وأخبار مسيلمة الكذّاب لا تحتمل إلّا الكذب، وإنْ كانت هذه الأخبار تحتمل الصّدق والكذب من حيث كونها أخبارًا بغضّ النّظر عن قائلها[٦]، أمّا عند مراعاة القائل فإنْ كان صادقًا فأخباره صادقة[٧]؛ فما ظنّك إذا كان القائل هو الله سبحانه وتعالى؟! ، وعلى هذا فإنّ أخبار القرآن الكريم جميعها صادقة؛ وهو الأمر الّذي تستند إليه هذه الدّراسة للخبر القرآنيّ .

أمّا التّقوى، فهي تعني: امتثال الأوامر واجتناب النّواهي، لحفظ النّفس بعيدًا عن الآثام والذّنوب الّتي تعرضها لعذاب الله تعالى وعقابه[٨]، وهي بذلك ترك المحظور والابتعاد عن المعاصي وأسباب السّخط، وفعل الفرائض المنجية

كالاستقامة والعمل الصّالح والإخلاص في العبادة الّتي من شأنها أنْ تؤدِّيَ إلى النّعيم والثّواب والوقاية من العذاب[٩] .

النّمط الأوّل: مبتدأ + خبر

جاءت التّقوى بهذا النّمط في القرآن الكريم في ضمن خمس صور؛ هي :

أ- مبتدأ + شبه الجملة متعلقة بخبر مذكور

وردت هذه الصّورة في أربعة مواضع ، هي (البقرة :٢،٢٣٧، وآل عمران:١١٥، والمائدة :٨، والتّوبة :٤٤). ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[١٠] ويلحظ في هذا التّركيب أنّه ورد بالجملة الاسميّة الخبريّة؛ ليدلّ على خصوصيّة علم الله بالمتّقين، مع علمه بالكلّ؛ فضلًا عن ((التّحقّق وتمكين ذلك المعنى في نفس السّامع بحيث لا يخالجه فيه ريب ولا يعتريه شكّ))[١١] فالخطاب بالجملة الاسميّة يفيد الاختصاص، ويفيد تأكيد علم الله سبحانه وتعالى بالمتّقين واختصاصه بهم وثبوته وعدم انقطاعه؛ فهو علم لا يتحدّد بزمن ولا يتقيّد بمقدار[١٢] فكان أن اتّسقت هذه المعاني والسّياق الّذي دلّ على تعيير المنافقين حين استأذنوا النّبيَّ (ﷺ) في القعود عن الجهاد[١٣].

ويظهر من ذلك أنّ إثبات علم الله تعالى بالمتّقين بالجملة الاسميّة كان دالًّا على الثّبوت وعدم التّجدّد والانقطاع ؛ فجاء متناسبًا وسياق الجهاد الوارد في الآية.

وكان في تقديم لفظ الجلالة في بداية التّركيب إشارة إلى العناية والاهتمام بأصل هذا العلم، ومصدره، وهو أمر من شانه أنْ يجعلَ الخطاب أكثر تأثيرًا ووقعًا وزجرًا لنفوس المنافقين .

ب- مبتدأ + شبه جملة متعلّقة بخبر محذوف

وردت هذه الصّورة في أربعة مواضعَ من القرآن الكريم؛ هي (الأعراف:١٢٨، وطه ١٣٢ ، والقصص:٨٣ ، والزّخرف: ٣٥)، ومثال ذلك قولة تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٤]، ويلحظ على هذا التركيب أنّ خبر المبتدأ (العاقبة) جاء محذوفًا. والحذف -كما يعرّفه النّحويّون- ((إسقاط جزء من الكلام ، أو كلّهِ لدليل))[١٥]؛ فصحّة الحذف لا بدّ من أنْ تكونَ قائمة على دليل؛ سواء أكان مقاليًّا لفظيًّا أم مقاميًّا حاليًّا، وأنْ لا يكونَ للحذف ضرر معنويّ [١٦]، ووصفه الجرجانيّ بأنّه ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر؛ فإنّك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة))[١٧].

وهذا ما يصدق على بلاغة الحذف في تركيب هذه الآية؛ إذ يلحظ أنّ شبه الجملة (للمتّقين) في هذا التّركيب قد تعلّقت بخبر محذوف؛ دلّت عليه بدليل مقاميّ جاء من فهم المعنى الوارد في السّياق فكان الخبر المحذوف معلومًا تقديره (كائنة أو مستقرّة أو موجودة).

وقد كان مجيء اللّام في هذا الموضع من دون غيرها للدّلالة على الاستحقاق أو الاختصاص متناسبًا ومعنى الآية وظروفها؛ ذلك أنّ الموضع موضع إخبار عن العاقبة المحمودة الجميلة وهي الدّار الآخرة السّعيدة الّتي استحقّها المتّقون؛ وهي الّتي أشارت إليها الآية في صدرها بلفظ البعيد؛ لشرفها وعلوّ مكانتها [١٨]؛ فهي جزاؤهم وثوابهم الّذي فازوا به عند ربّهم؛ ففيها يحظَون بالرّفعة والسّموّ لتواضعهم وصلاحهم في الحياة الدّنيا، وفي لام الاستحقاق أو الاختصاص من إيحاء، بشارة للّذين اتّقوا؛ فضلًا عمّا تقدّمه من تعزيز لمعنويّاتهم من أجل الدّوام والاستمرار على سلوكهم، وهو ما يتناسب وينسجم والمعنى الّذي أرادته الآية الكريمة، وكان مجيء اللّام في تركيب دالّ على الثّبوت والاستمرار –وهو الجملة الاسميّة– دلالة على الثّبوت وعدم الانقطاع وهو ما يلائم ثبوت جزاء المتّقين واستحقاقهم، المتمثّل بالدّار السّعيدة.

ج- مبتدأ + خبر

وردت التّقوى بهذه الصّورة في ثلاثة مواضعَ من القرآن الكريم؛ هي (الأعراف: ٢٦، والجاثية: ١٩، والمدّثّر: ٥٦)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٩].

وقد قرئت (ولباسَ التّقوى) بالنّصب عطفًا على لباس المنصوب

بـ(أنزلنا) [٢٠]، أو عطفًا على قوله : (وريشا)[٢١]، والقراءة بالنّصب تحتمل معنيين، قال النّحاس: ((أحدهما أنْ يكونَ ذلك إشارة إلى اللّباس، والآخر أنْ يكونَ إشارة إلى كلّ ما تقدّم)) [٢٢]. ويكون معنى أنزل لباس التّقوى ((لبس الصّوف والخشن من الثّياب ممّا يتواضع به لله جلّ وعزّ))[٢٣] فهو لباس حقيقة، ولمّا كان اللّباس ينبت بالمطر، والمطر ينزل، جعل ما هو المسبّب بمنزلة السّبب[٢٤]؛ فبالمطر نبت ((الكتّان والقطن، ونبت به الكلأ الّذي هو سبب نبات الصّوف والوبر والشّعر على ظهور البهائم))[٢٥].

أمّا القراءة بالرّفع (ولباسُ التّقوى)؛ فيكون تخريجها عند النّحويّين على أنّ لباسًا مرفوع بالابتداء والقطع ممّا قبله، أو على إضمار مبتدأ تقديره: وستر العورة لباس التّقوى؛ أي: المتّقين . والوجه الأوّل أَولى [٢٦]، وعلى هذا يكون لباس التقوى خيرًا وأفضلَ من الثّياب ومن الرّياش[٢٧] ويجوز أنْ يكونَ المراد بلباس التّقوى تشبيه ملازمة العبد لتقوى الله تعالى بملازمة اللّابس لباسه، ويكون اسم الإشارة ((ذلك)) لتعظيم المشار إليه الّذي هو لباس التّقوى .

يتبيَّن ممّا تقدّم أنّ بين القراءة بالرّفع والقراءة بالنّصب فرقًا؛ فبقراءة الرّفع تكون الجملة اسميّة، والجملة الاسميّة بطبيعتها تدلّ على الثّبوت والاستمرار؛ وهو نسبة الخير إلى التّقوى على وجه الثّبوت؛ فملازمتها دائما تقود إلى الخير، أمّا القراءة بالنّصب فإنّ الجملة تكون فيها فعليّة، تدلّ على التّجدّد والانقطاع وهو

أنّ لباس التقوى من الصّوف والقطن وغيره، مرتبطٌ بنزول المطر الّذي هو سبب لنبات اللّباس، وكما هو بديهيّ أنّ نزول المطر يكون متقطّعًا ومتجدّدًا تبعًا للظّروف المناخيّة .

د- مبتدأ + خبر / جملة فعليّة منفيّة فعلها مضارع

وردت التّقوى في القرآن الكريم بهذه الصّورة في موضع واحد؛ وهو في قوله تعالى : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[٢٨]؛ ففي هذا التّركيب جاءت الجملة الخبريّة اسميّة مصدَّرة بالضّمير المنفصل للغائبين الذّكور وواو الحال، تخبر عن قوم من الكفّار والمشركين بأنّهم لا يتّقون أبدًا؛ سواء أكان نقض العهد أم عذاب الله [٢٩]. وتوحي بدوام حالهم على انتفاء التّقوى، واستمرارهم في نقض العهود، وهو أمر أشارت إليه الجملة الاسميّة الدّالّة على الثّبوت والاستمرار وعدم الانقطاع؛ فجاءت متناسبةً وسياقَ الكافرين وحالهم إزاء العهود والمواثيق، وإزاء الله سبحانه وتعالى .

النّمط الثّاني: فعل (غير طلبيّ) + فاعل

وردت التّقوى بهذا النّمط في القرآن الكريم على ثلاث صور؛ هي على النّحو الآتي :

أ-اسم موصول (الّذين) + فعل (ماضٍ) + فاعل (ضمير)

جاءت هذه الصّورة في تسعة مواضعَ؛ وذلك في (البقرة :٢١٢ ، وآل عمران :١٥ ،١٧٢، ١٩٨ ، ويوسف : ١٠٩، ومريم : ٧٢ ، والزمر :٢٠ ، ٦١ ، ٧٣). ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣٠].

ويلحظ في هذه الآية أنّ (والّذين اتّقوا) في موضعِ رفعٍ على أنّه مبتدأ، وفوقهم خبره [٣١]، وقد آثر القرآن الكريم التّعبير عن الّذين آمنوا بالّذين اتّقوا من أجل مدحهم بالتّقوى، وإشعارًا بعلّة الحكم [٣٢]، ولأنّ ((الإيمان لا ينفع وحده لولا العمل))[٣٣] .

وقد تقدّم الاسم الموصول الجملة الفعليّة، واختصّ (الّذين) بجماعة الذّكور العقلاء، في حين أنّ الاسم الموصول (الّذي) يكون للعاقل وغيره[٣٤]، وبتقدّم الموصول ((إيثار الاسميّة للدّلالة على دوام مضمونها، وفي ذلك من تسلية المؤمنين ما لا يَخفى))[٣٥].

ولعلّ مجيء الاسم الموصول في هذا الموضع – وفي مواضعَ أخرى – كان له إيحاء دلاليّ اختصّ به؛ إذ إنّ القرآن الكريم يأتي بالاسم الموصول ((عندما تكون صلته هي الّتي عليها مدار الحكم))[٣٦]، يزاد على ذلك أنّ الاسم الموصول مع صلته، يثير في النّفس الشّوق إلى معرفة الخبر أو التّمهيد لهذا الخبر والدّلالة عليه [٣٧]، فكان أنْ دلَّ الاسم الموصول في هذا الموضع على التزام التّقوى والحثّ عليها؛ مشيرًا

إلى جزائهم وثوابهم في عِلّيين، في الدّرجات العليا من الرّفعة والسّموّ في رحاب الله سبحانه وتعالى، وهذا الخير الكثير المُعَدُّ لهم من شأنه أنْ يتناسبَ مع تقواهم وإيمانهم وطاعاتهم في حياتهم الدّنيا.

ويخلص ممّا تقدم إلى أنّ مجيء التّقوى صلة للموصول فيها من الدّلالة على اتّصاف العباد بالتّقوى والتزامهم بها على سبيل الدّوام بحيث إنّهم عُرِفوا بها؛ فقوله (والّذين اتّقوا) شبيه من جهة الثّبوت والملازمة بقوله (الّذين آمنوا) . وعلى دوران الحكم حوله؛ فضلًا عن أنّ الخطاب بالاسم الموصول فيه إثارة للشّوق في نفس المخاطب يجعله مترقّبًا ومتلهّفًا لمعرفة صلة ذلك الاسم، وهو ممّا يزيد الخطاب وقعًا وتأثيرًا في النّفس .

ب-اسم موصول (من) + فعل (ماضٍ) + فاعل (ضمير)

وردت التّقوى بهذه الصّورة في أربعة مواضعَ من القرآن الكريم؛ وذلك في (البقرة : ١٨٩، ٢٠٣ ، والنّساء :٧٧ ، والنّجم :٣٢)، وقد اتّصلت بالاسم الموصول لام المِلك في موضعين؛ هما: قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾[٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٣٩]؛ وهذه اللّام الجارّة الّتي تفيد الملك أو الاستحقاق تعني أنّ ما بعد حرف الجرّ؛ وهو الاسم الموصول المجرور يملك ما قبله [٤٠]، فيكون المتّقي بذلك مالكًا ومستحقًّا انتفاء الإثم عليه ومالكًا خير الحياة الآخرة .

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٤١]، يلحظ أنّ باء الجرّ الّذي يفيد الإلصاق قد اتّصل بالاسم الموصول، والإلصاق يعني التصاق الاسم المجرور بما قبله حسّيًّا أو معنويًّا [٤٢]؛ فيكون المتّقي ملتصقًا بالعالم به التصاقًا معنويًّا مجازيًّا.

ويلحظ على هذه المواضع تقدّم الاسم الموصول على الجملة الفعليّة، وقد اختصّ استعمال (من) بالمفرد العاقل، بخلاف (الّذي)؛ إذ يكون للعاقل وغير العاقل [٤٣].

وكان لمجيء الاسم الموصول في هذه المواضع أثره الدّلاليّ الّذي اختصّ به؛ فمن الخصائص الّتي استثمرها التّعبير القرآنيّ استطاعة الاسم الموصول أنْ يُخفِيَ تحته العَلَم ليكون غير محدّد بشخص ما، وإنّما عامّ في كلّ متّقٍ؛ فضلًا عن أنّ القرآن يعدل عن العَلَم إلى الاسم الموصول إذا كان فيه زيادة تقرير لأمر يريده [٤٤]، والزّمن في مثل هذه المواضع إمّا أنْ يكونَ مُلغًى وغير محدّد؛ بناءً على تقدير حكم عامّ، أو أنّ إلغاء خصوصيّة زمن الفعل لا تكون مستوجبة لإلغاء لوازم الأزمنة، كالتّحقيق في الماضي، والجريان والاستمرار في المضارع [٤٥].

يتبيّن من ذلك أنّ مجيء التّقوى صلة للاسم الموصول (من) قد دلّ على العموم وعدم التّحديد أو الاقتصار على شخص ما، ويكون الزّمن فيها مطلقًا غير محدّد؛ فضلًا عن أنّ الخطاب بالاسم الموصول يعمل على زيادة التّقرير لأمر يريد القرآن الكريم إثباته.

ج- اسم موصول (الّذين) + فعل (مضارع) + فاعل (ضمير)

وردت هذه الصّورة في أربعة مواضعَ من القرآن الكريم؛ هي (الأنعام :٣٢ ،٦٩ ، والأعراف :١٥٦، ١٦٩)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٤٦)، يلحظ أنّ في مجيء الصّلة بلفظ المضارع، واختصاص هذه الصّلة بالفعل المضارع دلالة على الاستصحاب والاستمرار؛ فالحياة الحقيقيّة الدّائمة هي الحياة الأخرويّة، ولكونها ثابتة فهي خير مؤكَّد، لا ينالها إلّا المستمّرون على تقواهم، استمرارًا متجدّدًا غير منقطع (٤٧)، وهذا في الوقت نفسه ((دليل على أنّ ماعدا أعمال المتّقين لعب ولهو))(٤٨) .

ويظهر من هذا أنّ مجيء التّقوى صلة بصيغة المضارع قد دلّ على الاستمرار التّجدّدي والثّبات عليها؛ وهذا الاستمرار من شأنه أنْ يقودَ إلى خير حياة وهي الحياة الآخرة الدّائمة الّتي تناسب جزاء أعمال المتّقين؛ وهي استحقاقهم وملكهم، وهو أمر أسهمت في الإشارة إليه لام المِلك الّتي اتّصلت بالاسم الموصول؛ فضلًا عن أنّ السّياق القرآنيّ كان سياق مدح بأسلوب خبريّ للقائمين بالتّقوى .

النّمط الثالث: **فعل** (**غير طلبيّ**) + **فاعل** + **مفعول به**

وردت التّقوى بهذا النّمط في القرآن الكريم على صورتين؛ هما :

أ- فعل (مضارع) + فاعل (ضمير) + مفعول به

وردت هذه الصّورة في موضعين؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾(٤٩)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾(٥٠)، يلحَظ في الموضع الأوّل إخبار من الله تعالى إلى رسوله (ﷺ) عن اليوم الّذي يجمع فيه المتّقون إلى الجنّة جماعات جزاءً بما أطاعوا الله في دنياهم؛ فالحشر إلى الرّحمن حشر إلى الجنّة، وإنّما سُمِّيَ حشرًا إلى الرّحمن لأنّ الجنّة مقام قربه تعالى؛ فالحشر إليها حشر إليه(٥١)، وقد أخبر بالجملة الفعليّة الّتي فعلها مضارع مقترن بظرف يدلّ على المستقبل وهو يوم القيامة؛ ليكونَ الفعل المضارع بذلك دالًا على الاستقبال تنصيصًا(٥٢) .

ويلحظ في الموضع الثّاني مجيء (أم) العاطفة المنقطعة الّتي لا تعطف إلّا الجمل، وهي تساوي في المعنى حرفَ الإضراب (بل) والهمزة الاستفهاميّة (٥٣)، والاستفهام الّذي تفيده (أم) في هذا الموضع يراد به الإنكار والتّوبيخ؛ أيْ: بل أنجعل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين، بل أنجعل المتّقين كالفجّار، إشارة إلى أنّ هذا لا يكونُ أبدًا (٥٤).

والآية لا تنفي استواء حال المؤمن والكافر فحسب، وإنّما قرّرت المقابلة بين من آمن وعمل صالحًا، وبين من لم يكن كذلك؛ سواء أكان غير مؤمن أم مؤمنًا غير صالح، ولذا أتت بالمقابلة ثانيًا بين المتّقين والفجّار(٥٥) .

يتبيّن من هذا أنّ الاستفهام الّذي أفادته (أم) غير حقيقيّ خرج إلى معنى التّوبيخ والإنكار في السّياق القرآنيّ الّذي لم يكن سياق طلب في أسلوب خبريّ، بل كان سياق توبيخ الكافرين في استحالة التّسوية بينهم وبين المتّقين؛ وهو ما يأباه العدل الإلهيّ.

ب- فعل (مضارع) + فاعل + مفعول به

وردت هذه الصّورة في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾(٥٦)، اختار فيه التّعبير القرآنيّ في خطابه، أنْ يأتيَ باسم الله تعالى من دون أيّ صفة من صفاته؛ مظهرًا إيّاه في هذا التّركيب، ليوحيَ بالجلال والهيبة اللّذين يحيطان بهذا الاسم المقدّس، وأنّه هو الّذي يجزي المتّقين، وإسناد الجزاء إلى الله فيه من الجلال والرّهبة ما فيه؛ فهو الخالق المتفضّل على عباده أيّما تفضُّلٍ .

النّمط الرّابع: **فعل** (**غير طلبيّ**) + **فاعل** + **مفعول مطلق** + **شبه جملة**

وردت التّقوى بهذا النّمط على صورة واحدة؛ هي :

فعل (محذوف) + فاعل(مضمر) + مفعول مطلق + شبه جملة

جاءت هذه الصّورة في موضعين من القرآن الكريم؛ هما: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٥٨]، يلحظ في هذين الموضعين مجيء (حقًّا) منصوبًا على المصدر لفعل محذوف تقديره أحقّ حقًّا [٥٩]، أو حَقّ حقًّا[٦٠]، ((ويجوز أنْ يكونَ صفةً لمصدر محذوف؛ أيْ كَتْبًا حقًّا، أو إيصاءً حقًّا، ويجوز في غير القرآن الرّفع بمعنى ذلك حقّ))[٦١]، وشبه الجملة ((على المتّقين، متعلّقة بالفعل المحذوف أيْ: يحقّ ذلك على المتّقين حقًّا))[٦٢] أو أنّها صفة لحقّ، وقيل: إنّها متعلّقة بالمصدر نفسه؛ لأنّ المفعول المطلق يعمل نيابة عن الفعل[٦٣]، وذهب أبو البقاء العكبَريّ إلى أنّ هذا الوجه ضعيف؛ ((لأنّ المصدر المؤكّد لا يعمل وإنّما يعمل المصدر المنتصب بالفعل المحذوف إذا ناب عنه كقولك: ضربًا زيدًا؛ أي: اضربْ))[٦٤].

وقد اختار التّعبير القرآنيّ إظهارَ الاسم المجرور (على المتّقين) من دون إضماره؛ للدّلالة على أنّ المحافظة على الوصيّة والحقوق وأدائها على أكمل وجه، من

شعائر المتّقين وأعمالهم الخائفين من الله تعالى(٦٥)، وقد خصّهم القرآن الكريم بالذّكر دون غيرهم تشريفًا لهم، أو لأنّهم أكثر النّاس امتثالًا لأمر الله تعالى؛ فتراه في خطابه لهم بأسلوب الخبر الّذي أراد من ورائه الأمر بتنفيذ الحقوق والوصايا مراعيًا الجانب النّفسيَّ للمتّقين؛ لأنّ الأمر المباشر، قد يولِّد صعوبة ومشقّة في تنفيذه، وقد يؤدّي الإلزام إلى الإعراض والتّلكّؤ، ولهذا اكتفى السّياق القرآنيّ بخطاب غير مباشر بالأسلوب الخبريّ إكرامًا لمشاعر المتّقين ومراعاةً لهم لما عُرف عنهم من الامتثال والطّاعة .

ومن هنا جاء التّعبير القرآنيّ بالأسلوب الخبريّ الّذي يفيد الأمر مجيئًا غير مباشر؛ مستغنيًا عن الأمر المباشر؛ ليخفّف من حدّة هذا الأمر على النّفس الإنسانيّة الّتي لا تلبث أنْ تجد صعوبةً ومشقّةً في تنفيذ الأوامر والنّواهي وتطبيقها .

النّمط الخامس: **فعل** (**ماضٍ ناقص**) + **اسمه** + **خبره**

وردت التّقوى بهذا النّمط في خمسة مواضعَ من القرآن الكريم؛ هي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(٦٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(٦٧)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(٦٨)، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(٦٩)، وقوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾(٧٠) .

ففي أربعة من هذه المواضع يلحظ مجيء اسم كان ضميرًا بارزًا لجماعة الذّكور، ومجيء خبره جملة فعليّة، فعلها مضارع؛ ليؤذِنَ التّعبير القرآنيّ بهذا اعتياد الّذين آمنوا الّذين خصّتهم الآيات بالذّكر على التّقوى ولجاجتهم فيها وتمكّنها في نفوسهم؛ وهو أمر أخبر به الفعل كان دلالته على الزّمن المطلق المستمرّ[٧١] الّذي أوحى بأنّ التّقوى ليست بطارئة عليهم، وإنّما هي مستقرّة فيهم، فكان أنْ أنزل التّعبير القرآنيّ التّقوى منزلة الوصف أو الحال .

ويتّضح من ذلك أنّ الوعد الأخرويّ الجميل لأولياء الله من العباد لا يعمّ عامّة المؤمنين؛ فالجملة الحاليّة (وكانوا يتّقون) دلّت على أنّ إيمانهم كان مسبوقًا بتقوى مستمرّة، وهذه التّقوى لا تتحقّق من غير إيمان؛ أيْ: إيمان بعد إيمان وتقوى [٧٢] .

أمّا في الموضع الخامس؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾[٧٣]، فيلحظ مجيء اسم كان ضميرًا مستترًا يعود على يحيى، ومجيء خبره اسمًا. ودلالة الفعل (كان) هنا بحسب ما ترتبط به من قرائنَ مع اسمه وخبره تفيد الاتّصاف الدّائم لاسمه بخبره؛ فالسّياق القرآنيّ يتحدّث عن نبيٍّ من أنبياء الله عليهم السّلام ، وهو يحيى؛ فلا بدّ من اتّصافه بالتّقوى على وجه الاستمرار والدّوام لا على سبيل الانقطاع والتّغيّر؛ مقتصرًا على الزّمن الماضي الّذي يدلّ عليه الفعل كان غالبًا .

النّمط السّادس: التّوكيد :

يُعرِّف النّحاةُ التّوكيدَ بأنّه ((لفظ يراد به تثبيت المعنى في النّفس وإزالة اللّبس عن الحديث أو المحدث))[٧٤]؛ فهو يمكّن الشّيء في النّفس ويقوّيه؛ فضلًا عن دقّة مأخذه وكثرة فوائده [٧٥]، ولا يؤتى به إلّا لحاجة للتّحرّز عن ذكر ما لا فائدة له؛ فإنْ كان المخاطب خاليَ الذّهن أُلقِيَ إليه الكلام من دون تأكيد، وإنْ كان متردّدًا فيه حسن تقويته بمؤكّد، وإنْ كان منكرًا وجب تأكيده [٧٦] .

وكان للتّوكيد في وروده مع التّقوى صور؛ هي :

أ- التّوكيد بالحرف المشبّه بالفعل (إنّ) : إنّ + اسمها + خبرها

وقد وردت التّقوى بهذه الصّورة في واحد وعشرين موضعًا من القرآن الكريم؛ وذلك في (البقرة :١٩٤، ١٩٧ والأعراف: ٢٠١، والتّوبة: ٤ ،٧ ،٣٦، ١٢٣، ويونس: ٦، وهود:٤٩، والحجر: ٤٥، والنّحل : ١٢٨، وص : ٤٩، والدّخان :٥١، والحجرات: ١٣، والذّاريات : ١٥، والطّور : ١٧، والقمر : ٥٤، والقلم : ٣٤، والحاقّة : ٤٨، والمرسلات : ٤١، والنّبأ : ٣١)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٧٧]، يلحظ أنّ التّوكيد جاء بالحرف المشبّه بالفعل (أنّ) الّذي يفيد تأكيد مضمون الحكم، ونفي الشّكّ فيه أو الإنكار له[٧٨]، وممّا لا غبار عليه أنّ مجيء التّوكيد في هذا الموضع وغيره يستند إلى مسوّغاتٍ اقتضاها سياق المقام والحال؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ جاء التّركيب المؤكّد بـ(أنّ) مؤكّدًا معيّة الله للمتّقين، يلحظ فيه الانسجام مع السّياق القرآنيّ الّذي ورد فيه؛ إذ إنّ المقام بصدد الحديث عن القتل والقتال المحتدم بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر والبغي؛ فالمعيّة الإلهيّة تنطق ((بالنّصر الإلهيّ والغلبة والظّفر فإنّ حزب الله هم الغالبون))[٧٩]؛ فضلًا عن أنّ معيّة الله للمتّقين، تشعر بعدم تعدّي حدود الله في الحروب والمغازي [٨٠] .

ويتّضح من ذلك أنّ الاستعمال القرآنيّ للتّوكيد بـ(أنّ) مع التّقوى قد راعى توكيد صفات الله حتّى تستقرَّ تقوى الله في النّفوس؛ وذلك هو الأساس الّذي يبنى عليه الدّين، وجاء التّوكيد في مواضعَ معيّنةٍ بحسب ما يقتضيه سياق المقام والحال وشدّة الموقف وصعوبته؛ فضلًا عن أنّ التّوكيد من أبرز العوامل لِبثّ الفكرة وإقرارها في القلوب؛ وصولًا إلى الإيمان بها ورسوخها في الأذهان رسوخًا، تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة .

ب – التّوكيد بالقصر :

وهو تخصيص شيء بشيء بمخصوص؛ وهذا التّخصيص يفيد التّأكيد وتمكين الكلام وتقريره في الذّهن [٨١]، وقد وردت التّقوى بهذا النّمط الخبريّ في القرآن الكريم على ثلاث صور؛ وهي :

١ – مبتدأ + ضمير الفصل + خبر

وردت التّقوى بهذه الصّورة في موضعين من القرآن الكريم، تمثّلًا في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون﴾(٨٢) .

ويلحظ على ذلك مجيء القصر بضمير الفصل الّذي يفيد توكيد الاختصاص بعد إعلام المسامع بأنّ اللّفظ الواقع بعده هو خبر لا صفة لِلَّفظ الواقع قبل هذا الضّمير(٨٣)؛ فهو بذلك يفصل بين الخبر والصّفة ويؤكّد النّسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه (٨٤).

وقد استعمل التّعبير القرآنيّ القصر في هذين الموضعين ليؤكِّد الإسناد في الجملة؛ وهو إسناد التّقوى لمن كان بارًّا وصادقًا، و((لبيان الكمال فإنّ البرّ والصّدق لو لم يتمَّا لم تتمَّ التّقوى))(٨٥)، وممّا يقوِّي هذا القصر، تعريف الطّرفين (المسند والمسند إليه)؛ وهما: اسم الإشارة (أولئك)، و(المتّقون)؛ ذلك التّعريف الّذي يفيد أيضًا قصر المسند على المسند إليه، واختصاصه به؛ فكأنّ البرّ والصّدق مقصوران على المتّقين لا يبرحانهم إلى سواهم .

ومن نافلة القول هنا أنّ اسم الإشارة (أولئك) فيه لون من الإيجاز والتّنبيه معًا؛ وذلك عندما يشير إلى موصوف بصفات عدّة – كالبرّ والصّدق كما في هذه الآية – فيبني الحكم على هذه الصّفات .

٢- إنّما + جملة فعليّة

وردت التّقوى بهذه الصّورة في موضع واحد من القرآن الكريم، وهو قوله

تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٨٦).

وقد كان لـ(إنّما) في قصرها دلالتها الموحية، تتّضح باتّساقها في التّراكيب؛ فترى التّعبير القرآنيّ تارةً يستعملها في الأمور الواضحة، وتارةً أخرى في المواضع الّتي فيها مجال للشّكّ والإنكار. ويستعملها أيضًا في التّعريض والجواب عن سؤال يقتضيه السّياق قبلها صريحًا كان أم ضمنًا(٨٧)، ويلحظ على هذا الموضع مجيء القصر بـ(إنّما) جوابًا لقوله لأقتلنّك، المسوق ((لقصر الإفراد للدّلالة على أنّ التّقبّل لا يشمل قربان التّقيّ وغير التّقيّ جميعًا، أو لقصر القلب كأنّ القاتل كان يزعم أنّه سيتقبّل قربانه دون قربان المقتول زعمًا منه أنّ الأمر لا يدور مدار التّقوى أو أنّ الله سبحانه غير عالم بحقيقة الحال، يمكن أنْ يشتبهَ عليه الأمر، كما ربّما يشتبه على الإنسان))(٨٨)؛ ومن هنا تكون طاعة الفاسق غير مقبولة (٨٩)، فجاء الجواب بكلام حكيم مختصر جامع لمعان منسجمًا وسياقَ المقام.

ويتّضح الانسجام من جهة أخرى مع هذا السّياق سياق مقام المخاطب وحاله في أنّ الاستعمال القرآنيّ لـ(إنّما) يفضي إلى دلالتها على التّعريض؛ وهي في ذلك ((وسيلة مؤدّبة مؤثّرة معًا؛ فضلًا عن إيجازها، أمّا إنّها مؤدّبة فلأنّها تصل إلى الغرض من غير أنْ تذكرَ الطّرف المقابل، ومؤثّرة من ناحية أنّك توحي بأنّ ترك التّصريح بما يخالف ما أثبته هو من الوضوح بمكان، كما أنّ الاكتفاء بالمثبت يوحي

أحيانًا بأنّه لا يليق أنْ يوازنَ بين ما أثبت وما نفي))[٩٠]، فكأنّ لسان حال الموعود بالقتل الّذي قبل الله تعالى قربانه يقول لأخيه الحاسد له ((وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله الّتي هي السّبب في القبول))[٩١].

ويخلص ممّا سبق إلى أنّ التّعبير القرآنيّ في استعماله التّقوى مع أسلوب القصر قد أراد تأكيد المعنى وإثباته في نفس المخاطب، لِمَا في ذلك التّأكيد من تعظيم وتفخيم لفعل التّقوى في المواقف المختلفة.

٣- إنّ (النّافية) + المقصور + إلّا + المقصور عليه

وردت التّقوى بهذه الصّورة في موضع واحد من القرآن الكريم؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾[٩٢]، يلحظ فيه مجيء القصر بأدوات تستعمل لهذا الغرض؛ وهي (النّفي وإلّا)[٩٣]لإفادة التّوكيد، وقد كان لورود التّقوى بصورة القصر في هذا الموضع سببٌ يتعلّق بطبيعة السّياق القرآنيّ الّذي اتّسم بالشّدّة على نفس المخاطب؛ إذ إنّ هذا النّوع من القصر مع التّقوى جاء في سياق الرّدّ على الّذين كفروا؛ ذلك السّياق الّذي عمد فيه التّعبير القرآنيّ إلى استعمال التّوكيد بالقصر لإثبات المعنى والحكم في نفس المخاطب؛ وهو إبطال زعمهم واعتقادهم بولاية المسجد الحرام ؛ فأثبت بهذا الأسلوب الحكم الواحد، ونفاه عن غيره [٩٤]بأنْ ليس للكافرين أنْ يَلُوا أمر المسجد الحرام فيجيزوا أو يمنعوا من شاؤوا؛ لأنّ هذا المسجدَ مبنيٌّ على تقوى الله، فلا يلي أمره إلّا المتّقون[٩٥]، ممّا اقتضى التّوكيد بالقصر في هذا الموضع إثارة الانتباه على هذا المعنى وتثبيته في نفس المخاطب .

النّمط السّابع: الاستثناء :

يقصد به ((إخراج الثّاني ممّا دخل فيه الأوّل بالأدوات الّتي وضعتها العرب لذلك))[٩٦]أو أنّه ((إخراج واحد أو أكثر ممّا دخل فيه الجماعة))[٩٧]، وقد وردت مادّة (وقي) بأسلوب الاستثناء في صورة واحدة؛ وهي :

المستثنى منه + أداة الاستثناء (إلا) + المستثنى

فقد وردت هذه الصّورة مع التّقوى في موضعين من القرآن الكريم؛ هما (آل عمران :٢٨ ، الزّخرف : ٦٧)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٩٨] ويلحظ في هذا الموضع مجيء التّقوى في ضمن أسلوب الاستثناء؛ إذ إنّ المتّقين في موضع نصب على الاستثناء، استثناهم التّعبير القرآنيّ ليبيِّنَ أنّ كلّ صداقة لغير الله تعالى تنقلب في يوم القيامة عداوة، أمّا الصّداقة المخلصة فتكون باقية دائمة في الدّنيا والآخرة؛ وهذا ما يوحي بأنّ انعدام التّقوى من الإنسان يؤدّي إلى فساده في ذاته، والى إفساده لغيره [٩٩]، وبذلك يكون استثناء المتّقين استثناء متّصلًا .

ويلمح في هذا التّعبير الّذي اعتمد على أسلوب الاستثناء دلالة تكريم المتّقين من الأصدقاء وتعظيم مكانتهم وشأنهم .

الخاتمة :

في ما يأتي خلاصة بأبرز النّتائج الّتي توصّل إليها البحث:

١-وردت التّقوى في ٦٦ موضعًا من القرآن الكريم اختصّ ورودها بالتّراكيب الخبريّة، وهو أمر ينبئ بأهمّيّتها في حياة المسلمين عامّة والمؤمنين خاصّة .

٢- وظّف التّعبير القرآنيّ السّياق بالأسلوب الخبريّ بجعلْه سياق مدح للمتّصفين بالتّقوى والقائمين بها .

٣- عمد التّعبير القرآنيّ إلى استعمال الأسلوب الخبريّ في الخطاب أراد منه الأمر بتنفيذ الحقوق والوصايا الّتي كُلِّف بها المتّقون؛ وذلك من أجل مراعاة الجانب النّفسيّ للمتّقين؛ فالأمر المباشر قد يولِّد صعوبة ومشقّة في تنفيذه، وقد يؤدّي إلى الإعراض والتّلكّؤ .

٤- إنّ التّعبير القرآنيّ استعمل التّقوى مع أسلوب القصر لتأكيد معنى التّقوى وإثباتها في نفس المخاطب؛ لِمَا في ذلك التّأكيد من تعظيم وتفخيم لفعل التّقوى في المواقف المختلفة .

٥- استند التّعبير القرآنيّ إلى الأسلوب الخبريّ في مواضعَ معيّنةٍ ذكر فيها جزاء المتّقين وثوابهم في إشارة منه إلى أنّ ذلك الجزاء والثّواب متحقّق لا محالة لِمَا في ذلك من التّرغيب والحثّ على فعل التّقوى .

٦- إنّ ورود التّقوى في الأسلوب الخبريّ مع النّمط التّوكيديّ بصورة القصر في مواضعَ معيّنةٍ يفصح عن نفسيّة المخاطب المنكرة الزّاعمة بما هو مخالف للواقع؛ إذ وردت في سياق اتّسم بالشّدّة على تلك النّفس من أجل الرّدّ عليها، فجاء التّوكيد لإثبات المعنى والحكم الصّحيح في نفس المخاطب ليجعلَه أكثر إدراكًا وانتباهًا للخبر المساق إليه .

٧- لمّا كانت التّقوى قضيّة مهمّة في حياة البشر عمد التّعبير القرآنيّ إلى إبرازها والحثّ عليها بأساليبَ مختلفةٍ؛ منها جاء حثّه عليها باستعماله أسلوب الخبر الّذي يريد به الأمر غير المباشر. ومن الجدير بالذّكر أنّ الأمر القرآنيّ المباشر هو أكثر التّراكيب دورانًا في الاستعمال القرآنيّ في الحثّ على التقوى .

الهوامش:

١- ينظر: منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث: د.علي زوين : ٧٢ .

٢- ينظر : اللّغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان : ٣٦-٣٧ .

٣- ينظر : مظاهر التّطوّر في اللّغة العربيّة المعاصرة : د.نعمة رحيم العزاوي: ٤٧

٤- ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : الفخر الرّازي : ١٤٩ ، والمعاني في ضوء أساليب القرآن : د.عبد الفتاح لاشين :١١٩ .

٥- نحو المعاني : د. أحمد عبد السّتار الجواري : ١١٣ .

٦- ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : ١١٩ –١٢٠ ، والجملة العربية تأليفها وأقسامها : د. فاضل السّامرائي : ١٩٤ .

٧- ينظر : أسلوب الخبر في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : أحلام موسى حيدر: ٦٨ .

٨- ينظر : التعريفات : الشّريف الجرجاني : ٦٨ طبعة مكتبة لبنان ١٩٧٨م ، والكلّيّات: الكفوي : ٢/ ٨٠ ،وكشّاف اصطلاحات الفنون : التهانوي :٦/ ١٥٢٧ ، ، وموازين القرآن الكريم : عزّالدين بليق : ٢/ ١٩٣

٩- ينظر: موسوعة أخلاق القرآن: د.أحمد الشّرباصي : ١/ ٢٠٢ ، ومرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان :سعيد النّورسي:١٥٩ .

١٠- التوبة : ٤٤ .

١١- الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :ابن حمزة العلويّ :٢/ ٢٦ .

١٢- ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز :١٨٢ .

١٣- ينظر : مجمع البيان :٥ / ٣٤ .

١٤- القصص:٨٣ .

١٥- البرهان في علوم القرآن :الزركشي : ٣ / ١١٥ .

١٦- ينظر : الجملة العربية تأليفها واقسامها : ٨٣ .

١٧- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني : ١٦٢ ،وينظر : مجمع البيان : ٧ / ٢٦٩، والميزان : ١٦ / ٨١ – ٨٢ .

١٨- ينظر: مجمع البيان:٧/ ٢٦٩، والميزان:١٦/ ٨١-٨٢.

١٩- الأعراف : ٢٦ .

٢٠- ينظر : إعراب القرآن : ١ / ٦٠٦ ، ومشكل إعراب القرآن :القيسي :١ / ٢٨٦.

٢١- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١/ ٣٥٨ ، وإملاء ما من به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن :١/ ١٥٧ .

٢٢- إعراب القرآن :١/ ٦٠٦ .

٢٣- نفسه .

٢٤- ينظر : إملاء ما من به الرّحمن : ١ / ١٥٧ .

٢٥- مشكل إعراب القرآن :١/ ٢٨٦ .

٢٦- ينظر : إعراب القرآن : ١/ ٦٠٦ – ٦٠٧ ، ومشكل إعراب القرآن : ١ / ٢٨٦.

٢٧- ينظر : إعراب القرآن : ١ / ٦٠٧ .

٢٨- الأنفال : ٥٥ ، ٥٦ .

٢٩- ينظر : مجمع البيان : ٤ / ٥٥٢ / ٥٥٣ .

٣٠- البقرة : ٢١٢ .

٣١- ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن :١/ ١٤٩ .

٣٢- ينظر : روح المعاني : ٢/ ١٤٣ .

٣٣- الميزان :٢/ ١١١ .

٣٤- ينظر :معاني النّحو : د. فاضل السّامرائي :١/ ١٣٤ –١٣٥ .

٣٥- روح المعاني :٢/ ١٤٣ .

٣٦- من بلاغة القرآن : ١٣٦ .

٣٧- ينظر : نفسه: ١٣٦ .

٣٨- البقرة :٢٠٣ .

٣٩-النّساء :٧٧ .

٤٠- ينظر : مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب :ابن هشام الانصاري : ٢٧٥، ومعاني النّحو :٣/ ٦١ ، والمعجم المفصل في اللّغة والأدب :٢ / ١١٩٣ .

٤١- النّجم :٣٢ .

٤٢- ينظر :معاني النّحو :٣/ ١٩ ،والمعجم المفصل في اللّغة والأدب :١/ ٢١١ .

٤٣- ينظر :معاني النّحو :١/ ١٣٩،١٣٥، والمعجم المفصل في اللّغة والأدب :١ / ٢١٠ ، ٢ / ١٢٠٦ .

٤٤- ينظر :من بلاغة القرآن :١٣٧ .

٤٥- ينظر : الميزان :١١/ ٣٨١ .

٤٦- الأنعام :٣٢ .

٤٧- ينظر: الميزان :٧/ ٥٧ .

٤٨- الكشاف :٢/ ١٤ .

٤٩- مريم : ٨٥

٥٠- ص: ٢٨

٥١- ينظر : الميزان : ١٤ / ١١٠ .

٥٢- ينظر : شرح الرّضي على الكافية : ٢ / ٢٥٦ ، وهمع الهوامع :السّيوطي : ١ / ٨ ، ومعاني النّحو : ٣ / ٣١٥ .

٥٣- ينظر :معاني النّحو :٣/ ٢٤٠ ،٢٤١ .

٥٤- ينظر : مجمع البيان : ٨ / ٤٧٣ .

٥٥- ينظر : الميزان : ١٧ / ١٩٧ .

٥٦- النّحل :٣١ .

٥٧- البقرة : ١٨٠ .

٥٨- نفسها :٢٤١ .

٥٩- ينظر :إعراب القرآن : ١ / ٢٧٥ .

٦٠- ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن :١ / ١٤٢ .

٦١- إملاء ما من به الرّحمن : ١/ ٤٦ .

٦٢- إعراب القرآن : ١/ ٢٧٥ .

٦٣- ينظر :إملاء ما مَنَّ به الرّحمن : ١ / ٤٦ ، وروح المعاني : ٢/ ٧٧ .

٦٤- إملاء ما منّ به الرّحمن : ١/ ٤٦ .

٦٥- ينظر: روح المعاني :٢/ ٧٧ .

٦٦- يونس :٦٢ ، ٦٣ .

٦٧- يوسف :٥٧ .

٦٨- النّمل : ٥٣ .

٦٩- فصلت : ١٨ .

٧٠- مريم :١٣ .

٧١- ينظر : الفعل زمانه وأبنيته : ٥٦ .

٧٢- ينظر : الميزان : ١١/ ٢٠٢ .

٧٣- مريم : ١٣ .

٧٤- شرح جمل الزّجّاجيّ : ابن عصفور الإشبيلي : ١/ ٢٦٢ ٠ وينظر : اللّمع في العربيّة : ١٤١ .

٧٥- ينظر : الطّراز : ٢ / ١٧٦ .

٧٦- ينظر : أساليب التوكيد في القرآن الكريم : عبد الرّحمن المطردي : ١٢ – ١٣ .

٧٧- التوبة : ٣٦ .

٧٨- ينظر : شرح المفصل : ٨/ ٥٩ ، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم : ١٤١ .

٧٩- الميزان :٩ / ٢٧٠ .

٨٠- ينظر : نفسه .

٨١- ينظر : الإتقان في علوم القرآن : السّيوطي : ٢ / ٤٩ ، والتراكيب اللّغوية في العربية :د. هادي نهر : ١٢٧ – ١٢٨ .

٨٢- البقرة : ١٧٧ ، والزمر :٣٣ .

٨٣- ينظر : التراكيب اللّغوية في العربية : ١٢١ –١٢٢ .

٨٤- ينظر : روح المعاني : ٨/ ٨٤ ، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم : ٣٤٩ .

٨٥- الميزان :١/ ٤٢٩ .

٨٦- المائدة :٢٧ .

٨٧- ينظر : من بلاغة القرآن :١٥٩ ، ١٦٠ ،١٦١ .

٨٨-الميزان : ٥/ ٣٠١ .

٨٩- ينظر : مجمع البيان :٣/ ١٨٢ .

٩٠- من بلاغة القرآن : ١٦٠ .

٩١- الكشاف : ١ / ٦٠٦ .

٩٢- الأنفال :٣٤ .

٩٣- ينظر : في النّحو العربيّ قواعد وتطبيق :٢١١ ، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة :١٢٨ .

٩٤- ينظر : من بلاغة القرآن : ١٥٧ .

٩٥- ينظر : الميزان : ٩/ ٧٢ .

٩٦- شرح جمل الزّجّاجيّ : ٢/ ٢٤٨ .

٩٧- في النّحو العربيّ قواعد وتطبيق : ٢٠٦ .

٩٨- الزخرف : ٦٧ .

٩٩- ينظر :موسوعة أخلاق القرآن :١ / ٢٠٦ .

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

١. أبو البركات كمال الدين عبد الرّحمن بن محمّد الأنباريّ (ت ٥٧٧هـ) ، البيان في غريب إعراب القرآن : تحقيق د.طه عبد الحميد طه ، مراجعة مصطفى السّقا ، الهيأة المصرية العامة للكتاب / ٤٠٠١هـ - ١٩٨٠م .

٢. أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ٤٩١٠هـ) ، الكلّيّات (معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية) : تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب الثقافية ، دمشق / ٥٧١٩م .

٣. أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبريّ (ت ٦١٦هـ)، إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن (التّبيان في إعراب القرآن) : دار العلم للجميع ، سوريا ، د.ت .

٤. أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ) تحقيق حامد المؤمن ، اللّمع في العربية : ط٢ ، عالم الكتب ، مكتبة النّهضة العربية ، بيروت / ٥١٤٠هـ - ١٩٨٥م .

٥. أبو الفضل شهاب الدين السّيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ٠٧٢١هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني : ج١، ج٢ ، تحقيق محمد زهري النّجار مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ، الدار القومية العربية للطباعة ،

مصر / ٣٣٨١هـ - ١٩٦٤م ، ج٣ ، ج٩٢ ، ج٠٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان / د.ت .

٦. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٣٨٥هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : دار المعرفة للطباعة والنّشر ، بيروت ، لبنان / د.ت .

٧. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النّحاس (ت ٨٣٣هـ) ، إعراب القرآن : تحقيق د.زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد / ٩٧٩١م .

٨. أبو محمد مكّيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧هـ) ، مشكل إعراب القرآن : تحقيق حاتم صالح الضّامن ، منشورات وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية / ٥٧١٩م.

٩. أحلام موسى حيدر، أسلوب الخبر في القران الكريم (دراسة بلاغية نقدية) : (رسالة ماجستير) ، الجامعة المستنصرية / ٤٠٦١هـ - ٦١٩٨م ، مضروبة على الآلة الكاتبة .

١٠. أحمد أحمد بدوي ، من بلاغة القران الكريم : مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة / ٧٠٣١هـ - ٩٥٠١م .

١١. ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٩٦هـ) ، شرح جمل الزجاجي : تحقيق د. صاحب أبو جناح ، مطابع دار الكتب للطباعة والنّشر ، جامعة الموصل / ٠١٩٨م ، ٢١٩٨م .

١٢. السّيد محمد حسين الطّباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن : ط٣، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان / ٣٩٣١هـ - ١٩٧٣م .

١٣. الشّريف عليّ بن محمّد الجرجانيّ (ت ٨١٦هـ) ، التّعريفات : مطبعة دار السّرور ، بيروت / لبنان ، د.ت . وطبعة مكتبة لبنان / ٧٨٩١م .

٤١. الشّيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ (ت ٨٤٥هـ) ، مجمع البيان في تفسير القراَن : تصحيح وتحقيق وتعليق السّيّد هاشم الرّسولي المحلّاتي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان / د.ت .

٥١. بدر الدّين محمد بن عبد الله الزّركشيّ(ت ٤٩٧هـ) ، البرهان في علوم القرآن : خرج حديثه وقدّم له وعلّق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان / ٨٠١٤هـ - ٩٨٨١م .

٦١. جلال الدين السّيوطي (ت ١١٩هـ) ، الإتقان في علوم القراَن : المكتبة الثقافية ، بيروت / لبنان ٣١٩٧م .

١٧. جلال الدين السّيوطيّ (ت ٩١١هـ) ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربيّة : تصحيح السّيد محمد بدر الدين النّعساني ، دار المعرفة للطّباعة والنّشر ، بيروت ، لبنان د.ت .

١٨. جمال الدّين بن هشام الأنصاريّ (ت ٦١٧هـ) ، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب : تحقيق: د.مازن المبارك و محمد علي حمد الله ، مراجعة سعيد الافغاني ، ط٥، دار الفكر ، بيروت ، لبنان / ٩٧٩١م .

١٩. د.أحمد الشّرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن : ط٢، دار الرّائد العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٠. د. أحمد عبد السّتار الجواري ، نحو المعاني : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٢١. د.إبراهيم السّامرائي ، الفعل زمانه وأبنيته : ط٢ ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٢. د.تمام حسان ، اللّغة العربية معناها ومبناها : الهيأة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٣م .

٢٣. د.عبد الفتاح لاشين ، المعاني في ضوء أساليب القرآن : ط٣، دار المعارف ، القاهرة / د.ت .

٢٤. د.علي زوين ، منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث : ط١، طباعة ونشر دار الشّؤون الثقافية العامة ، بغداد / ١٩٨٦م .

٢٥. د.فاضل صالح السّامرائي ، الجملة العربية تأليفها وأقسامها : منشورات المجمع العلمي ، مديرية دار الكتب للطّباعة والنّشر ، بغداد / ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٢٦. د.فاضل صالح السّامرائي ، معاني النّحو : ساعدت جامعة بغداد على نشره ، بيت الحكمة / ١٩٩٠م .

٢٧. د. مهدي المخزومي ، في النّحو العربي (قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) : ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

/ ٨٦٣١هـ - ١٩٦٦م .

٢٨. د.ميشال عاصي ، المعجم المفصّل في اللّغة والأدب : د.إميل بديع يعقوب ، ط١، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان / ٧٨١٩م .

٢٩. د.نعمة رحيم العزاوي ، مظاهر التّطوّر في اللّغة العربيّة المعاصرة : (الموسوعة الصّغيرة) ،ط١، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة (آفاق عربيّة) ، بغداد / ٩٠٩١م .

٣٠. د.هادي نهر ، التراكيب اللّغوية في العربية (دراسة وصفية تطبيقية) : مطبعة الإرشاد ، بغداد / ٨٠١٤هـ - ٩٨٧١م .

١٣. رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ، شرح الكافية في النّحو : ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت / ٩٧٩١م .

٣٢. سعيد النّورسي ، مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان : ترجمة : إحسان قاسم الصّالحي ، ط١، مطبعة منير ، بغداد / ١١٤١هـ - ٩٩١١م .

٣٣. عبد الرّحمن المطردي ، أساليب التوكيد في القرآن الكريم : ط١ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا / ٥٩٣١هـ - ٩٨٦١م .

٣٤. عبد القاهر الجرجاني (ت١٧٤هـ) ، دلائل الإعجاز:تحقيق د.محمد رضوان الداية و د.فايز الداية ،ط٢، مكتبة سعد الدين ، دمشق/ ٧١٤٠هـ - ٩٨٧١م .

٥٣. عز الدين بليق ، موازين القرآن الكريم : ط١، النّاشر دار الفتح للطباعة والنّشر ، مطبعة دار الكتب بيروت ، لبنان / ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٣٦. فخر الدين الرّازي (ت ٦٠٦هـ) ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : تحقيق د.إبراهيم السّامرائي ، و د.محمد بركات حمدي أبو عليّ ، دار الفكر للنّشر والتوزيع ، عمّان ، الأردنّ / ١٩٨٥م .

٧٣. موفق الدين بن يعيش النّحوي (ت ٦٤٣هـ) ، شرح المفصل : عالم الكتب ، بيروت / د.ت .

٣٨. يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ) ، الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : مطبعة المقتطف ، مصر / ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .